الباعة المتجولون وتأثيرهم على صورة المهاجرين السوريون للولايات المتحدة الأمريكية

أ.م.د. كفاح أحمد محمد نجار
كلية الآداب / جامعة بغداد
Akefah82@yahoo.com

(مُلَخَّصُ البَحث)

هاجر الآلاف من السوريون لاسيما من المسيحيين إلى الولايات المتحدة الأمريكية وشكلوا مجتمعاً عربياً صغيراً في الولايات التي سكنوها (لاسيما في نيويورك إذ أسسوا ما عرف تاريخيا بسوريا الصغرى) وقد كان لأولئك المهاجرين سمعة طيبة في الولايات المتحدة الأمريكية فهم لم يكونوا مجرمين ولم يقوموا بتأليف عصابات مختصة بالسرقة أو بالقتل، ولم تشهد محاكم الولايات المتحدة الأمريكية جرائم فعلها السوريون سواء أكانت جرائم قتل أو سرقة أو اعتداء على النساء. كما لم يشتهر أو يعرف عن السوريون حبهم للخمر فلم يكونوا يشربون لحد السكر وبالتالي لم تكن لهم مشكلات مع المجتمع الأمريكي أو القوانين الأمريكية إلا فيما يتعلق بعدم معرفة الكثير منهم للغة الإنكليزية اذ حدثت بعض الحوادث الناجمة عن سوء فهم السوريون للغة الإنكليزية فقد كانوا قوما مسالمين يحاولون كسب عيشيهم بما يتناسب مع قوانين الولايات المتحدة الأمريكية. كما أنهم لم يكونوا يعملون بالأجرة (عمال بالفعلة) ولم يزاحموا المواطنين الأمريكيين في أعمالهم.

لكن السمعة الطيبة للمهاجرين السوريون أصبحت مهددة بشكل كبير بسبب عمل الكثير منهم كباعة متجولين انتشروا في جميع الولايات ، و امتازوا برداءة ملابسهم واستعطافهم للناس لاسيما أنهم كانوا يطرقون الأبواب ويلحون على أصحاب البيوت لشراء الحاجات التي كانوا يحملونها في صناديقهم، مما شكل ردة فعل للأمريكيين وجعلوهم ينظرون للمهاجر السوري على أنه متسول قذر. وقد استغلت الصحافة الأمريكية هذا الأمر وجعلته بابا للسخرية من المهاجرين السوريون ومن ثم أضحت سمعة المهاجرين السوريون في الحضيض . أحاول في هذا البحث التركيز على أعمال السوريون في التجارة لاسيما تجارة المفرد وسبب انتشارها في الولايات وكيف عمل السوريون كباعة متجولين وما هي الأسباب التي دفعتهم للاستمرار بهذا العمل لسنوات عدة رغم تأثيره الكبير على سمعتهم وقلل من احترامهم وهيبتهم بين باقي المهاجرين من البلدان الأخرى.

يعد أنطونيوس يوسف البشعلاني (أنطون بن يوسف ضاهر أبو عطا الله البشعلاني) أول مهاجر لبناني للولايات المتحدة الأمريكية ،انطلق من بيروت مع بعض السيّاح فوصل الى لندن في سنة ١٨٥٤م، ثم انتقل على مركب شراعي الى الولايات المتحدة الأميركية، ونزل في مدينة بوسطن، وبعد أيام سافر الى نيويورك و دخل الجامعة فيها، وكان يعرف اللغة الانكليزية وتميز بالذكاء وحسن المعشر ، وممّا يذكر عنه أنه خلال إقامته في تلك المدينة لبس الثياب العادية مع طربوش مغربي. لكن أنطونيوس توفي بعد سنتين من إقامته، والغريب انه توفي في اليوم نفسهِ الذي وُلد فيه، ما جعل أستاذه في الكلية التي كان يدرس فيها يؤلف كتاباً عنه بالانكليزية تضمن سيرة حياته، وفي الكتاب رسم انطونيوس بشعلاني وتحت رسمه كلمات بخط يده، و أما ضريحه في هذه الأيام فموجود في مدينة بروكلين بولاية نيويورك، حيث دُفن هناك، وكتب أستاذه على شاهد الضريح اسمه وتاريخ ولادته ووفاته، راسما صورة أسد وحيّة وحَمَل*، تعبيرا عن الصورة التي رسمها البشعلاني عن السوريون.

إلا أن الهجرة السورية لم تكن قد بدأت فعلا إلا بعد عام ١٨٦٠ ، وساق العديد من المؤرخين جملة من الأسباب التي دفعت السوريون للهجرة ، وابرز تلك الأسباب هي " **التوترات التي ترافقت مع التغيرات الاقتصادية والاجتماعية ، ونتيجة لفرض التجنيد الإجباري، وانتشار الثقافة الأجنبية ، والتحسن الذي طرأ على وسائل النقل ، وأخيرا المجازر التي حدثت عام ١٨٦٠**" (أورفلي، ٢٠٠٦، ص ١٠٣) لكن ذلك لا يعني الجزم بان عام ١٨٦٠ هو التاريخ المحدد للهجرة السورية، فقد أشارت الكثير من المصادر التاريخية إلى أن بداية الهجرة كانت لأغراض التجارة وحددوا عام ١٨٥٤ بداية لتلك التجارة وهو العام الذي افتتح فيه معرض واشنطن الدولي للصناعات، فقد سافر عدد من التجار المسيحيين وهم يحملون منتجات من صناعة الأراضي المقدسة (فلسطين) كالتحف الصدفية والزيتونية والمطرزات، والأيقونات وهي صور دينية تمثل السيد المسيح والعذراء والقديسين (مصطفى، ١٩٩٠، ص ٢٢)، أن تجارة الأيقونات، كانت عاملاً مهما

* الذي كان مولده في قرية صليما في ٢ آب سنة ١٨٢٧م، وقبل العمادة، بعد ثمانية أيام من مولده على يد كاهن الرعية في كنيسة القديس يوحنا. والدته من آل حسّان كسّاب، وله ستة أخوة توفوا كلهم دون خلَف.. وما كاد انطون يبلغ الثانية عشرة من عمره حتى هبط من صليما الى بيروت، واشتغل مع شقيقه دأود في معمل حرير في الطيونة قرب الشياح، واتصل ببعض الإفرنج وكان يرافقهم في رحلاتهم وسفراتهم.عندما كبر أخوه دأود رافقه في خدمة سيّاح بصفة طاهٍ، ثم بصفة ترجمان ودليل بعد ان اتقن اللغة الانكليزية والايطالية، عاد في أحد الأيام الى بلدته صليما بعد أن صار شاباً ومعه كمية من المال، فطلب يد ابنة أحد انسبائه واسمها شمونة ابنة يوسف نصر الله أبي عطا الله، فرضيت به عندما رأته شاباً غضاً، وصاحب أدب جمّ، ولكن أهله منعوه من الاقتراب منها، ما جعله ينوي العودة الى أميركا،(البعيني، ٢٠١٨) .

لدفع كثيرا من السوريين إلى الهجرة، نظرا للحماس الشديد الذي أدركه هؤلاء بفطرتهم التجارية، من خلال رؤية الحجاج الأمريكيين الذين كانوا يأتون إلى البيت المقدس (القدس)، وتلهفهم لشراء تلك الأيقونات، ومن ثم سافر كثيراً من أبناء بلاد الشام خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى الولايات المتحدة الأمريكية لبيع تلك الأيقونات وغيرها من التحف الدينية المقدسة، ثم تبعهم تجار آخرون يحملون نفس البضائع بعدما علموا بالربح الوفير الذي حققه التجار الأوائل من البضائع (المقدسة) وكان يوسف فاعور شلالا من التجار الذين توجهوا إلى الولايات المتحدة، مصطحباً معه الكثير من البضائع المقدسية، وذلك بعد أن حصل على شهادة، من بطريق اللاتين* الكاثوليك بالقدس، بأن تلك البضائع المقدسية حقيقية وليست تقليداً، ومن ثم صادفت بضاعته هذه رواجاً فائقاً، حيث تكاثر الأمريكيون على شرائها بأثمان سخية، عادت عليه بالكسب والغنيمة، وقد حمل خبر نجاحه هذا الكثيرين على الهجرة، وعند عودتهم إلى بلادهم، كانت الأموال التي اكتسبوها، تجذب هجرات أخرى إلى الولايات المتحدة الأمريكية (الخوري، ١٩٣١، ص ٧٧٨) . ومما تجدر الإشارة إليه أن المشغولات الدينية قد لاقت رواجاً كبيرا ، وبيعت بسرعة عجيبة، بل إن الأمريكيين طلبوا المزيد منها، مما نبه أولئك التجار وغيرهم إلى أهمية الذهاب إلى الولايات المتحدة الأمريكية (Ansara, 1931, P.31). ومن هنا بدأت تجارة السوريون في الولايات المتحدة الأمريكية والتي يمكن تسميتها تجارة البيع المتجول. كما شجعت المعارض العالمية التي أقيمت في الولايات المتحدة الأمريكية التجار السوريون للهجرة لتلك البلاد بقصد التجارة فقد شهد معرض فيلادلفيا المئوي لعام ١٨٧٦ حضور عدد كبير من التجار السوريون الذين نقلوا عند عودتهم صورة الثراء السهل وان " الذهب في الشوارع" (**كاروس** ، ١٩٩٨، ص ٢٨) ، ثم أخذت الهجرة السورية تتزايد شيئا فشيئا ، وقد وصل عدد المهاجرين السوريون للولايات المتحدة الأمريكية بين ١٨٧٠ و ١٩٢٦ الى ما يقارب ٢٠٠٠٠٠ الف مهاجر مقيم *، وكان المهاجرين يسكنون في تجمعات موحدة حتى كونوا مدنا مستقلة بهم مثل مدينة (سوريا الصغرى) في

* اللاتين :تطلق على النصارى الكاثوليك، الذين يستعملون اللغة اللاتينية في عباداتهم، (البعلبكي، موسوعة، م ٢، ص ١٠٢١)

* المهاجر المقيم: هو المهاجر الذي أتى من سوريا الى الولايات المتحدة الأمريكية مع أسرته أو من انشأ اسرة بعد قدومه وبقي في الولايات المتحدة ولم يرجع، ويختلف هولاء عن المهاجرين الآخرين الذين كان يطلق عليهم اسم (النزالة) وهؤلاء النزالة هم المهاجرون السوريون القادمون بنية العمل والعودة الى ديارهم بعد جمع المال واغلب النزالة كانوا يعملون بالبيع المتجول، لذا فان تقدير أعداد السوريين المهاجرين بالولايات المتحدة يختلف من مصدر الى اخر بشكل كبير جدا، والسبب في ذلك يعود الى النزالة الذين لا يبقون طويلا ولا يسجلون أسماءهم في الإحصائيات الرسمية.

نيويورك التي ضمت ما يقارب ٨٠٠٠ مهاجر سوري مقيم (Fahrenthold,2014, P.75.)

الباعة المتجولون

أولا: التشجيع على البيع المتجول

لم يكن المهاجر السوري للولايات المتحدة يعلم شيئا عن هذا البلد وأخلاقه أو قوانينه أو مبادئه وكانت جل معارفه مختصرة بان الولايات المتحدة الأمريكية هي موطن الثروة وبإمكان أي شخص الحصول على المال الوفير بمجرد ذهابه الى تلك البلاد . وكانت الدعاية التي نشرها المهاجرون الأوائل بين الأهالي في المدن والبلدات السورية سبباً مباشراً في دفع الشباب للمهاجرة، فقد كان المهاجرون يبعثون بأموالهم الى بلداتهم الأصلية في سوريا وتم إنفاق الأموال المرسلة على بناء المنازل الفخمة المسقوفة بالقرميد، واليك خلاصة ما لاحظه مراسل جريدة أمريكية رافق لجنة المهاجرة لدراسة الأحوال في الدولة العثمانية سنة ١٩٠٧ قال: "**معدل ما يرسله المهاجر السوري الى بلاده يزيد عما يرسله كل مهاجر آخر . وانك لترى بين بيروت ودمشق بيوتا مشيدة بمال أمريكا أكثر مما تراه في فسحة من الأرض في ايطاليا حجمها خمسة أضعاف هذه**" (حتي، المقتطف، ١٩٢٢، ص ١٢٢).

كان سكان البلدات في جبل لبنان يرون بأعينهم التطور العمراني لعائلات المهاجرين فما الذي يمنعهم من الحصول على هذا المال الوفير؟ لذا ركبوا البحر وبدؤوا بالهجرة أملا بالحصول على المال والعودة الى الديار وهم يحملون معهم أسباب الترف والغنى. ومما زاد في دفع السوريون للهجرة هو ما كان ينشره الشعراء والكتاب من مقالات تشجع على الهجرة وعلى البيع المتجول. ومن امثلة ذلك ما قام به الكاتب اللبناني ميخائيل اسعد رستم الشويري من تأليف كتاب كامل عن محاسن الهجرة للولايات المتحدة ومدى الأرباح التي يجنيها الباعة المتجولون السوريون في تلك البلاد، وسمى كتابه باسم الغريب في الغرب، وكتب الكتاب على شكل قصائد موزونة ومن تلك القصائد قصيدة (تفضيل التجارة على وظيفة التعليم) والتي جاء فيها (الشويري، ١٨٩٥، ص ١٤) :

وجد في سفر حيث الأوائل قد	ساروا وقد احرزوا مالا بلا عدد
فجئت ارضا يرجى تجارتها	صب الدراهم كالأمطار والبرد
وقلما احرز العلم الكثير فتى	وكان ذا ثروة تبقى الى امد
كأنما العلم ضد المال يدفعه	عن طالبيه بمقلاع الى بعد

وهنا يشجع الناظم سكان بلاد الشام لترك التعلم في المدارس لان في النهاية سيكون موظف ولا يجني الأرباح التي يجنيها التاجر ، لاسيما عند المهاجرة الى الولايات المتحدة الأمريكية والعمل كبائع متجول. وفي قصيدة أخرى يتحدث الناظم عن بيع (الجزدان الحرير والكشة)(الشويري، ١٨٩٥، ص ٢٢) جاء فيها:

لا شيء في مدائن الحضارة يشكر مثل حرفة التجارة
وهي على أشكالها أنواع قصر عن إحصائها اليراع
أربابها أماجد أحرار يكثر في أيديهم الدينار
والربح وضح لدى العيان لصاحب الكشة والجزدان

أن الدفع باتجاه المهاجرة وتحديد العمل كبائع متجول وما يجنيه هذا البائع من أرباح كبيرة؟ جعل اغلب أبناء السواحل السورية يفكرون بالهجرة ويستسهلون العمل بالبيع المتجول الذي رسمه لهم الكثير من الناس والكتبة والمفكرين على انه عمل مصان ويحقق أرباحاً كبيرة، وكان السورين في ديارهم يستمعون الى المغانم الكثيرة التي حصل عليها المهاجرين في الولايات المتحدة فاخذوا ينزحون عن أوطانهم بمئات الألوف وهم غير مدخرين من رأس المال شيئا، وكان هدفهم الربح السريع لذلك كانت التجارة هي العمل الأساس لهم والوسيلة الأساسية لتجارتهم وكانت الكشة (الصندوق) قد سميت تلك التجارة بـ (ام التجارة السورية في المهاجر) ويكاد لا يكون احد من المهاجرين لم يحملها ويتخذها واسطة لجمع المال، حتى ان المؤرخ السوري الكبير فيليب حتي امتدح تلك التجارة قائلا:" **لا عار في ان تكون الكشة ذات الفضل الرئيسي في قيام التجارة السورية** " (المجلة التجارية السورية الامريكية، ١٩١٨، ص ٢٤). وحتى يومنا هذا ما زال الكثير من المؤرخين العرب والأمريكيين من الأصول العربية مثل غريغوري أورفلي(٢٠٠٦، ص ١٥٥-١٦٠) يتفاخرون بعمل أجدادهم كباعة متجولين.

ثانيا: أعمال السوريون في الولايات المتحدة

قبل الدخول في تفاصيل عملية البيع المتجول علينا أولاً معرفة ما هي تجارة المهاجرين السوريون في الولايات المتحدة ، وماذا كان يبيع البائع السوري المتجول؟

يمكن تقسيم أعمال المهاجرين السوريون الى أربعة أنواع ، النوع الأول والأقدم هو تجارة الأقمشة والخردوات والحلي التقليدية، وهذه البضائع أغلبها يتم صنعها في معامل الولايات المتحدة وبعضها يتم جلبه من معامل أوربا، وقد ربح المهاجرون السوريون الأوائل من هذه التجارة وجمع أصحابها منها أموال وفيرة. والنوع الثاني من البضائع هو السجاد الشرقي المستجلب من مصادره الأصلية. والبضائع البيضاء المزخرفة والكتابية والمطرزات الحريرية

الشرقية والأوربية وما شابه ذلك، وهذا النوع من الأشغال التجارية كان مزدهرا وزاد عدد المتاجرين به وأصحاب المعامل لاصطناعه في الولايات المتحدة. وكان التجار السوريون الكبار يستوردون ما لم يتم صنعه في الولايات المتحدة مثل (الكيمونه: وهي جلباب من الحرير دقيق تتشح به المرأة في منزلها قبل ان ترتدي ثيابها اللائقة بمقابلة الضيوف وهو ملبوس ياباني الأصل أدخله اليابانيون للولايات المتحدة، وأخذه السوريون ليكون احد أعمدة الباعة المتجولين) وملابس نسائية أخرى من فرنسا وسويسرا مثل (الشورت). وسبب نجاح هذه التجارة هو المبيع للسيدات الأمريكيات من الطبقة الغنية والمتوسطة (مكرزل، ١٩٢١، ص ٨١ –٨٢)، والنوع الثالث هو السمانة الشرقية (البقالة) وتجارها ليسوا بأقل أهمية من التجار الآخرين، فيجلبون البقالة بكميات كبيرة ويبيعونها جملة وبعضهم يصدرون منها الى المكسيك وجزائر الهند الغربية. والنوع الرابع من تجارة السوريون هو المعامل للدخان والسكائر التركية (وتلك التجارة كانت مزدهرة في نيويورك) وأيضا للمرايات وأغطية الطاولات وغير ذلك. وكانت هذه التجارة تقدر سنويا بحوالي ستة مليون دولار في نيويورك وحدها وذلك عام ١٩٠٩ (طنوس، ١٩٠٧، ص ١٤٦). لكن تلك التجارة كانت تتطلب رأس مال جيد وأماكن (دكاكين) لعرض البضائع فضلا عن مخازن للبضائع، وهذا ما لم يكن يملكه أغلب المهاجرين السوريون لذلك التجأوا الى البيع المتجول، وفي البدء كان الباعة المتجولون السوريون يبيعون الأشياء الدينية، وقد عرفوا كيف يستغلون هذه الأمور بشكل جيد ففي ذلك الوقت كانت "**الأديان تسبق في لعب الميدان فالروم الأرثوذكس والذين ينتمون الى معشر البروتستانت كانوا في الغالب يأتون الى أمريكا الشمالية حيث يجدون في صدور القوم ما يوافق مشاربهم . اما الفئة الثانية التي هي من الطائفة المارونية فكنت ترى أفرادها يفضلون المهاجرة الى أمريكا الجنوبية حيث كانوا يبيعون الشعب الاسباني سلعهم القدسية كثوب السيدة العذراء والمسابح وقلوب يسوع والصلبان وخلاف ذلك . وقبل بيع القطعة كانوا يرسمون إشارة الصليب لاستجلاب ثقة القوم فيهم بأنهم من أبناء الكنيسة**" (طنوس ،١٩٠٧، ص **٥٦٩**). وأول بضائع اتجر السوري بها هي من وارد القدس ثم بدئوا يستوردون من فرنسا. اما المعاملة فكانت على الطريقة الآتية: يشتري البائع المتجول والذي كان يعرف آنذاك بصاحب الصندوق أو (الكشة : وهي كملة مأخوذ اسمها من اللغة الايطالية * المالطية ومعناه صندوق) لأنه كان يحمل الصندوق على ظهره عند تجواله بالولايات والمدن ، ثم يحأول التقليل من سعر البضائع، وبعد ذلك يتفق مع التاجر على سعر معين وكان الاتفاق شفويا من غير أي إيصال أو عقد (وهنا كان التجار يفرضون

* ذكر آخرون ان كلمة كشة مشتقة من الكلمة الإسبانية (كايا) التي تعني الصندوق، انظر: (أورفلي، ص ١٥٧)

أسعارهم كما يشاؤون مستغلين جهل المهاجرين بأسعار الجملة الحقيقية وكذلك عدم معرفتهم بالقراءة والكتابة) لكن البائع المتجول كان يطلب من التاجر ان يحلف له بصدق السعر وحقيقته ويتم القسم على (قلوب يسوع الموجودة ضمن البضاعة) (طنوس، ١٩٠٧، ص ٥٦٩-٥٧٠) .

كان الباعة المتجولون يجنون أرباحاً كبيرة من خلال بيع البضائع الرخيصة بسعر ضعفين أو ثلاثة أضعاف السعر الذي تم شراؤه من أجله ، فضلا عن العيش بشكل مقتصد للغاية والتوسل للحصول على مأوى في المخازن والإسطبلات لتجنب درجات الحرارة المنخفضة جدا، حتى لا يستأجروا بيوتا أو غرفا في فنادق، كسب الباعة المتجولون السوريون اللبنانيين "قدرًا من الثروة" ، على الأقل وفقًا لمعايير القرن التاسع عشر(Khater , 2001,PP. 76-78). وكان البائع المتجول السوري يجني سنويا ١٠٠٠ دولار بينما كان العامل الأمريكي (عامل مصنع) يجني ٦٥٠ دولار سنويا(Alixa, 1922,P.147) ، وهذا ما دفع اغلب السوريون للاستمرار بعملية البيع المتجول والاقتصاد بالنفقات . وقد سيطر المهاجرون السوريون على عملية البيع المتجول بشكل شبه كامل فلم يبقى لهم منافس بتلك العملية الا ثلة قليلة من المهاجرين اليهود الألمان، وان اغلب المهاجرين السوريون باتوا يعملون بالبيع المتجول وتجأوزت نسبة الباعة المتجولين الـ ٩٠% من المهاجرين السوريون قبل عام ١٩١٤(Toth, The Western Pennsylvania Historical Magazine, July 1986, p.224.)

بعد ان يتم شراء البضاعة من التجار يبدأ المهاجرون السوريون بحمل صناديقهم على أكتافهم ويسيرون لمسافات طويلة ، ليجوبوا المدن والطرقات ويدقوا أبواب المنازل ، وهنا يعرض السوري بضاعته لصاحب المنزل محأولا إقناعه بشراء اي شيء من بضاعته، واذا كان صاحب البيت غائبا فانه يعرض على المرأة شراء ما يحمله من مطرزات وأغطية للموائد أو للبيانو ناهيك عن الكيمونة، ويبدأ الاستعطاف محأولا إقناع السيدة بشراء اي شيء مما يحمله. وما ان كثر البيع المتجول بدأت السيدات الأمريكيات يضجرن من الباعة المتجولين كونهم من الذكور ، وهنا بدأت هجرة النساء السوريات الى الولايات المتحدة الأمريكية وكان الهدف الأول من هجرة النساء هو البيع المتجول ، فقد أدرك المهاجر السوري ان للمرأة في الحرفة التي يتعاطاها في الغالب وهي البيع في البيوت قيمة اقتصادية كبيرة لأنها يهون عليها طرق الأبواب ودخول المنازل وإرضاء النساء . وكانت نسبة النساء المهاجرات إلى الرجال الذين دخلوا الولايات المتحدة من عام ١٨٩٩ حتى

عـام ١٩١٠ شـكلت ٣٢ % مـن نسـبة المهـاجرين السـوريون.(حتـي ، المقتطـف ، ص ١٢٥).

أصـبح للنسـاء السـوريات دورٌ كبيـرٌ فـي عمليـة البيـع المتجـول، إذ كـن يلاقـين تعاطفـاً كبيـراً مـن لـدن المجتمـع الأمريكـي، وقـد كتبـت الصـحافة الأمريكيـة عـن البائعـات المتجـولات السـوريات بتعـاطف كبيـر وفيمـا يـأتي إحـدى المقـالات التـي كتبـت فـي صـحيفة The Saint Paul globe، التـي تسـاءلت تحـت عنـوان عريض:"**مـن منـا لـم يكـن مهتمًـا بالنسـاء الصـغيرات اللائـي يتجـولن مـع صـناديق مـن الحلـي والأمـور المبهرجـة؟**" ثـم أكمـل المقـال تسـاؤلاته الأتيـة :"**مـن لـم يشـعر بالتعـاطف معهـم حتـى عنـدما كـان يشـعر بالملـل مـن مجموعـة السـلع المتنوعـة؟ مـن الـذي لـم يسـتثمر فـي أمـور تافـه لإرضـاء فتـاة بنيـة الوجـه؟ مـن الـذي لـم يشـعر بـأي شـعور بالأسـى بعـدما يـرى تلـك المـرأة البنيـة الوجـه وهـي تحمـل علـى كتفهـا الصـندوق الثقيـل ويتفـرج عليهـا وهـي تسـير بـه ؟**" ويبـدو ان المقـال كتـب لتشـجيع المـواطنين الأمـريكيين علـى شـراء اي شـيء مـن تلـك البائعـات لأنهـن مسـكينات ويحملـن صـناديق كبيـرة تكـاد تكسـر ظهـورهن . وبـدأ المقـال يسـتعطف المـواطنين الأمريكيين قـائلا:" **هـؤلاء النسـاء الصـغيرات اللـواتي يجمعـن مبلغـاً ضـئيلاً عـن طريـق بيـع أشـياء مبهرجـة وغيـر مهمـة ، يتمـتعن بمكانـة مميـزة فـي عـالم التجـارة ، حيـث يلـتقطن بضـعة سـنتات هنـا وبضـع سـنتات هنـاك يبـيعن، زوج مـن الأربطـة ، منـديل أحمـر سـاطع ، سلسـلة مـن الخـرز ، زوج مـن شـطف الـذراع أو زوج مـن الحمـالات ، وردة صـغيرة مـن زر السـليلويد الأحمـر ، أو غطـاء مـن الـدانتيل الرقيـق. ان النسـاء اللائـي يمارسـن هـذه التجـارة هـن سـوريات غالبًـا مـا يـتم تصـنيفهم علـى أنهـم "الغجـر Gypsies** " (The Saint Paul globe March 22,1903,) ثم بدأت الصـحيفة بتعريـف المـواطنين بشـكل صـحيح عـن البائعـات المتجـولات فاغلـب أبنـاء المجتمـع الأمريكـي كـان يعتقـد ان تلـك البائعـات هـن مـن " الغجـر" وذكـرت الصـحيفة أنهـن سـوريات .لكـن عمـل البائعـات المتجـولات السـوريات لـم يسـتمر بشـكل كبيـر والسـبب يعـود ان الكثيـر مـن السـوريون اعتبـروا ان هـذا العمـل يتعـارض مـع القواعـد الذكوريـه الخاصـة بالشـرف، بينمـا عـد آخـرون بـان عمـل المـرأة فـي البيـع المتجـول قـد اضر بسمعتهم (Shibley, 2014 P.56).

ثالثا: عملية البيع المتجول ورد فعل المجتمع الأمريكي تجاهها

يبدو أن أغلب المهاجرين السوريون لم يكونوا ينوون البقاء في الولايات المتحدة الأمريكية بل أن الكثير منهم قدم الى تلك البلاد لغاية جمع الثروة بأي سرعة ممكنة وبأي الوسائل لذلك ترى العديد من النداءات والمقالات التي كتبها العرب السوريون في جرائدهم تحث المهاجرون على العمل بإخلاص أولاً وعلى أن يختاروا أعمالاً لا تقلل من قيمتهم أو من شرفهم ومبادئهم وان لا يستعجلوا الربح السريع وان لا يعملوا بالأعمال القذرة. فان اغلب السوريون كانوا يريدون الربح بسرعة والرجوع الى مدنهم وقراهم في لبنان والظهور هناك بمظهر الأغنياء والارتكان للتقاعد وعدم العمل بعد عودتهم. لذلك وجهت صحف المهجر العربية نداءات متكررة للمهاجرين السوريين بان يتركوا الأعمال القذرة لأنها كانت تؤثر وبشدة على سمعة المهاجرين ممن كانوا مقيمين في الولايات المتحدة الأمريكية ولا يرغبون بالعودة الى لبنان (كوكب أمريكا، ٧ آذار ١٨٩٢) .

ونشرت جريدة كوكب أمريكا في مقالة للأديب خليل عساف جاء فيها :" **ان غالب أبناء العرب في هذه الأيام ولاسيما الكثير من المهاجرين الى العالم الجديد يجهلون قدرهم ومنزلتهم بين ما سواهم من الشعوب فتراهم يحتقرون أنفسهم غير مبالين بما يأتون فيرمون بالأمور على عواهنها . وذلك وحده كاف لان يستهدفوا بسهام قدح يرمي بها علوج الأعاجم بل ذلك يؤدي بهم الى أسفل درجات الامتهان والحطة في أعين من هم دونهم حسبا ونسبا.ويتلو ذلك تقلقل أقدامهم في الأعمال وعدم تكاتفهم** " (٧ آذار ١٨٩٢) .

وفي خطاب ألقاه الأديب منيب أفندي طنوس في حزيران من عام ١٨٩٩، في مقر جمعية الآداب السورية بالولايات المتحدة ونشرته جريدة الهدى ، تحدث عن استكشاف أمريكا وما فعله المستوطنون الأوائل وكيف تقدموا بالبلاد من خلال العمل الدؤوب ثم تحدث الى المهاجرين السوريون قائلا:" **وكان للسوري نصيب من المهاجرة إليها فجائها وغنم شيئا من خيراتها بسعيه المتواصل وجده الدائم . على أني أسالك أيها السوري الكريم هل شاركتهم بأعمالهم وأشغالهم؟ هل خالطتهم أو ساكنتهم وأظهرت انك راض عن تلطفهم وصفاتهم ان لم يكن بالفعل فالبقول .ام نبذت ذلك ظهريا واحتقرت نفسك وحقرت اسمك ووطنك وأخذت لسكناك أقذر الشوارع وسعيت لتحصيل معاشك بأقذر الوسائل وجافيتهم وتجنبت معاشرتهم واليت على نفسك الا ان تجمع الريال كيفما كانت الحال وترسله الى اهلك وذويك مفضلا المدح عن بعد وسادا أذنيك عن القدح القريب قل لي**

ناشدتك بالله ما الذي أوجبك لاحتقار نفسك بهذا المقدار فرضيت بما انت راض به من الذل والاحتقار هل نقص في مالك ام قصور في أعمالك ام خمود في ذكائك " ثم يستطرد ويأخذ على المهاجرين السوريين سكنهم في أقذر المساكن ولبسهم أقذر الملابس ويسألهم لماذا حينما يعودون الى بلادهم يلبسون لبس الأمريكيين ويظهرون بين أبناء جلدتهم في بلادهم ومدنهم الأصلية كأنهم أمريكيون ويقلدون الأمريكيين بكل تصرفاتهم . فلماذا لا يفعلون ذلك وهم يعيشون في الولايات المتحدة ؟

تغيرت سمعة المهاجرين السوريون بشكل سيء جداً عند نهاية القرن التاسع عشر وأثر الباعة المتجولون على سمعة المهاجرين بشكل أصبح يهدد مصير بقائهم في الولايات المتحدة الأمريكية فقد تناقلت حكايات وقصص مروعة عن السوريون في العالم الجديد وبدأت الصحافة تتناقل تلك الحكايات التي كان اغلبها ملفق ولا يمت للواقع بصلة، ومنها ما أشاعته أحدى الجرائد البرازيلية (البرتغالية) أن رجلين سوريين قد سرقا طفلا وافترساه ، ووصل صدى تلك الإشاعة الى الولايات المتحدة الأمريكية مما اضطر جريدة الهدى نشر مقالة عنها لتكذيب الخبر وللفت انتباه المهاجرين السوريون الى مخاطر تلك الإشاعات ، ومما جاء في رد جريدة الهدى: "**ونحن لا ريب عندنا كما لا يرتاب احد بان الخبر من اكذب ما سمع عن السوريون ولهذا لم يكن استياؤنا مضاهيا سرورنا بقيام السوريون وقعودهم لهذا الخبر وقد دفعتهم جريدة المناظر الغراء الى الاكتراث كل الاكتراث لهذه الإشاعة النفاقيه** " (الهدى، حزيران ١٨٩٩، ص ٨-٩) .

أخذت الصحف الأمريكية بمتابعة أخبار السوريون والتحذير منهم لاسيما من الباعة المتجولين فقد كتب إدوارد كورسي، المفوض السابق للهجرة والتجنس في نيويورك، في مذكراته ما نصه:"**في عام ١٨٨٠ اتى الى بلادنا أعداد كبيرة من مختلقي الدين * ينتمون إلى مجموعة تسمى "الموارنة" ، أتباع مارون ، وهو قديس مفترض عاش في القرن الخامس. هؤلاء الناس يتحدثون العربية وجاؤوا هنا من لبنان ،سوريا بدؤوا يأتون في مجموعات صغيرة في لباس المتسولين. لقد ارتدوا حمالات حمراء ، وسترات قصيرة مفتوحة، وسروال قصير أزرق فضفاض إلى كعب الساقين، وأحذية غير مناسبة. بمجرد اجتيازهم سلطات الهجرة سيغادرون الى الشارع في الحال ويبدؤون التسول..** " وأضاف قائلا:" **ان الماروني الباكي، قد حصل في اليوم الأول على خمس دولارات فيما كان**

* وصف الموارنة ان دينهم مختلق وهم من اتباع ما يسمى مارون.

المهاجرون الايرلنديون والألمان يواجهون صعوبة كبيرة للحصول على عمل يمنحهم مبلغ دولار واحد في اليوم" (Corsi , 1969 PP.265-266,)

الملاحظ انه وصف المهاجرين السوريون بدقة والمفروض ان هناك المئات من المهاجرين يعبرون في اليوم الواحد وهم من قوميات واديان مختلفة ومن جميع شعوب الأرض تقريبا، ولا اعرف كيف استطاع كورسي تمييز المهاجرين السوريون من جميع شعوب الأرض، ويبدو انه بنى حكمه على ما كان يسمعه من الناس وهنا كمن الخطر الحقيقي على سمعة المهاجرين السوريون.

خلال الثمانينات من القرن التاسع عشر، نشرت صحيفة نيويورك تايمز تقارير عن المتسولين الناطقين بالعربية في محيط قلعة جاردن Castle Garden، نقطة دخول الهجرة في ذلك الوقت، وذكرت الصحيفة ان القصة بدأت في أيار ١٨٨٢، عندما " **نزل ثلاثة عرب سوريين يبدون في حالة يرثى لها، في قلعة جاردن في الأمس وقد طلبوا اللجوء للولايات المتحدة كما طلبوا أموالا من مراسل الصحيفة**" (New York Times, July 7, 1882,P. 8.)

واستمر هجوم صحيفة نيويورك تايمز على المهاجرين السوريون فقد وصف مقال آخر في نيسان ١٨٨٤ شابًا سوريًا زعم أنه أتى للبحث عن شقيقه بينما "**تقطعت بهم السبل على هذا الشاطئ دون المال ودون الأصدقاء** "مضيفًا أنه " **تقدم بطلب إلى السلطات في قلعة جاردن للإغاثة وبعد مرور أثنى عشر يوما أبلغت عائلتان سوريتان (قدموا حديثا للولايات المتحدة) الشاب بأنهم قد شاهدوا أخيه في فرنسا برفقة اثنين من المتسولين السوريون**" 14,1884,P. (April 8.) ويبدو من خلال المقالين الأنفين أن الصحيفة كانت تُتابع أخبار السوريون بشكل دقيق جدا و لافت للنظر.

ذكرت الصحيفة في آب ١٨٨٥، بان "**ستة من العرب القذرين من جبل لبنان ، في سوريا، وصلوا ومعهم بعض الأشياء الدينية ليبيعوها وهو ما يكفيهم لبضعة أيام، وبعد ذلك سيعتمدون على العناية الإلهية وقلوب الناس الطيبة في المعيشة وهولاء يتحدثون باللغة العربية فقط ، وأشاروا إلى "أنهم يرغبون في البدء في جولة التسول**". لاحظ المقال كذلك أنه "**قبل حوالي عشرة أيام ، دخل عرب آخرون قلعة جاردن ، وأكدوا للسلطات أنهم لن ينخرطوا في التسول ، ثم "نزلوا في برودواي Broadway لالتماس الصدقات من المارة" ثم تم اعتقالهم وإعادتهم إلى أوطانهم " باعتبارهم فقراء معدمين**" (April 19, 1884,P. 2) .

نشرت جريدة نيويورك تايمز مقالاً حقيقياً في كانون الثاني من عام ١٨٨٨، أشارت فيه الى قصة عن حادثين منفصلين شارك فيهما مهاجرون ناطقون بالعربية، وحسبما ذكرت الصحيفة، بأنهم ليسوا مجرد متسولين، بل أيضًا لصوص. وفي الحادثة الأولى، تم رفض دخول ٢٤ مهاجرًا بسبب افتقار مفوض الهجرة إلى التأكيد "**بأن العرب سيكونون عبئا على الولاية.**" استشهد المقال بتعليقات أحد مسؤولي الهجرة بأن العرب "**تلقوا التعليم للسرقة**" وأنه قد تم إلزامهم، في بعض الأحيان "**السماح لنزول العرب السارقين الذين ليس لديهم أموال كافية لإبعاد أنفسهم عن ملاجئ الفقراء** " وأكد المقال بان :" **العرب السوريين من منطقة لبنان قد شرعوا بغزو الولايات المتحدة بشكل منسق**"، وأكدوا أن واحدة من هؤلاء، "وهي **امرأة تحمل طفلاً ، كانت تتسول في قلعة جاردن.**" (January 17, 1888,P. 3.).

أن المقال أعلاه المنشور في جريدة نيويورك تايمز والذي كان بعنوان" **العرب غير مطلوبين في الولايات المتحدة**" يبين بشكل واضح أن السلطات الأمريكية بدأت بالفعل تقلق من الوجود العربي وتحأول عرقلة الهجرة العربية من خلال ذكر مساوئ العرب والتي هي في الغالب كانت ناجمة عن حركة الباعة المتجولين في المدن وإصرارهم على الاقتصاد الشديد بالمال مما اثر سلبا على النظرة إليهم والتنبيه المستمر على لباسهم القديم وغير النظيف والمتهرئ.

في خريف عام ١٨٨٩ ، نشرت صحيفة نيويورك تايمز مجموعة من المقالات حول مجموعات من "السوريون" تنتظر الموافقة الرسمية لدخول البلاد، وقد وصفتهم الصحيفة بأنهم: "**أميون وجاهلون وبخلاء وظلاميون** " (August 23, 1889 , September 6, 1889& September 1, 1889). والملاحظ ان مراسلي صحيفة نيويورك تايمز كانوا يقفون عند حاجز قلعة جاردن ويجرون مقابلات مع السوريون الذين عبروا توا من الحاجز اي أنهم كانوا يضعون أقدامهم أول مرة في الأراضي الأمريكية وبالتأكيد أنهم لم يكونوا يعلمون شيئا عن المجتمع الأمريكي وكيف يفكر، فضلا عن كونهم بالكاد يستطيعون نطق بعض الكلمات الانكليزية، و من ثم يتم اصطيادهم ان صح التعبير من قبل المراسلين الذين يجرون معهم حوارات هدفها الاستهزاء بهم . ومن ثم يصدرون عليهم أحكام بأنهم أميون وجاهلون وبخلاء وغيرها من الصفات التي لم تكن موجودة فيهم.

وفي مقال آخر نشرته جريدة النيويورك تايمز وصفت فيه المهاجرين السوريون بأنهم سادة التسول (Masters of Mendicants) ، وقد قارن المقال ببراعة

السويديين بالعرب ومما جاء فيه :"**كان هناك تباين مثالي في ظهور فئتي المهاجرين أولا :السويديون ، يرتدون أفضل الملابس ، مع وجوه صادقة وجادة ، مع الصبر المستمر على جهودهم في الغرب والبدء في صنع رؤوس أموال لأنفسهم عن طريق الكدح الصادق ، وثانيا : العرب القذرين ، الكسولين ، الذين لا يرتدون جوارب ، وأيديهم في جيوبهم ، وهم ينفخون السجائر ، التي يلفونها بأنفسهم من التبغ الذي تمكنوا من الحصول عليه عن طريق التسول من زملائهم المهاجرين**" (February 21, 1888, P.3) والمطلع على الصفات التي وصف بها المقال العرب، يجد ان اغلب تلك الصفات كانت للباعة المتجولين الذين ارتبط عملهم بالتسول بشكل مبالغ فيه من قبل البائع نفسه فقد كان يصر على عرض بضاعته للنساء بشكل خاص ويبقى ملازما المرأة حتى يجبرها بنوع من التوسل على شراء شيء منه . والغريب ان تلك العادة عدت عادة حميدة لدى المهاجرين ووصفت بان فاعلها يوصف بالحذاقة!! بل اننا نجد بعض الكتاب من المهاجرين كان ينصح المهاجرين الجدد بالإصرار على الزبون (لاسيما النساء) لشراء بعض مما يحمله . اذ ذكر صاحب كتاب الغريب في الغرب صفات البائع المتجول الذكي قائلا : (الشويري،١٨٩٥ ص ٢٣)

ويوصف السوري بالحداقة ورقة الاخـــــــلاق والعياقة *
أول كل جملة بعد السلام يقولها البائع"باي سمثنك يا مام
وعند جهل القيمة المحدودة يشير بالانامل الممدودة

وهنا ينصح الكاتب بان يقوم البائع المتجول بالسلام وبعدها مباشرة يطلب من السيدة شراء اي شيئاً بقوله (Mam Buy something) وحينما يعلم البائع ان السيدة تجهل سعر الحاجة التي ستشتريها ينصح البائع بان لا يقول شيء عن السعر بل ان يمد يده اليها وانتظار اي مقدار تدفعه وهذا هو التسول بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

التسول، والدعاية السلبية التي أثارتها الصحافة الأمريكية بشكل كبير ، انتقلت إلى عام ١٨٩٠ ففي إيار من العام نفسه ، نشرت صحيفة نيويورك تايمز قصة تحت عنوان عريض "**المقدسات العربية المتجولة**" والتي تحدثت فيها عن السيد المسيح وانه علم الرجال بان لا يقلقوا بشأن الغد ، ويقال انه في حياته لمدة ثلاث سنوات كان يعمل من اجل الناس وليس من اجل نفسه، ثم تطرقت للسوريين الموارنة وأنهم يسترزقون بالأمور الدينية، فإذا كان :" **من السهل. إن يعيش**

* العياقة: كلمة معناها الافتخار بالمعرفة والفهم الذي يكون غالبا غير ناجم عن دراسة أو خبرة.

الإنسان كطفيلي على الآخرين في هذا العالم ، ومن ثم الاستمتاع بالنعيم الأبدي بين الملائكة في الجنة عليهم ان يختاروا عقيدة أخرى كالعقيدة المحمدية التي تقول إن الطريق إلى الجنة يكمن تحت ظل السيوف. وهكذا يأخذ الموارنة بلطف هذا المذهب ، كما يأخذ الضفدع إلى البركة"(May 25, 1890,P. 17) من خلال هذه المقالة نجد أن الصحفيين الأمريكيين قد أصبحوا مستفزين جدا فهم من ناحية اتهموا العرب جميعهم (مسلمين ومسيحيين) بأنهم لا يجيدون إلا التربح بالأمور الدينية. ومن ناحية أخرى اعتبروا ان الإنسان الكسول والطفيلي هو (مسلم) واستنكروا على الموارنة أن يبقوا مسيحيين وانه من الأفضل لهم الالتحاق بدين المسلمين الذي يضمن لهم العيش عالة على البشر وعندما يموتون بالمعارك يذهبون إلى الجنة.

نشرت الصحيفة عنواناً فرعياً آخرَ " **المتسولون المارونيون البائسون الذين ينتشرون في هذا البلد**"، ووصف المهاجرون السوريون بأنهم "يشبهون في" القبائل والأخلاق الغريبة "كلاً من" الصينيين وما يطلق عليهم "داجو* إيطاليون" ، على الرغم من أنهم "**في كثير من النواحي هم أدنى من الصينيين والإيطاليين**" ، الذين عملوا بجد وبأمانة على الأقل (May 25, 1890,P. 17). كما لم ينس صاحب المقال التذكير بأنه ليس كل السوريون هكذا ، إذ إن الطوائف الدينية السورية الأخرى ، الدروز والمسلمون هم ، على عكس "الموارنة الأنانيين" ، بأنهم كان لديهم "**شعور باحترام الذات والاستقلال**"(May 25, 1890,P. 17)

واذا علمنا ان المهاجرون الصينيين كانوا من أدنى أنواع المهاجرين للولايات المتحدة الأمريكية فقد أصبح الصينيون أول مجموعة عرقية مُنعت على وجه التحديد من دخول الولايات المتحدة بموجب قانون الاستبعاد الصيني لعام ١٨٨٢ ، الذي تم تمريره تحت ضغط من منظمات العمال البيض في الغرب التي استاءت من المنافسة الصينية على وظائف في التعدين وبناء السكك الحديدية (, The National Archives 1989,PP.82-85.). وفي هذه الأثناء تم وصف المهاجرين السوريون بأنهم أدنى حتى من الصينيين الذين وصفهم المقال بأنهم على الأقل كانوا يعملون ، ومن خلال ذلك نعرف ان المجتمع الأمريكي لم يكن يعترف بان البيع المتجول هو نوع من العمل بل هو وسيلة للتسول وهذا ما اثر بشدة على سمعة المهاجرين السوريون.

* داجو: كلمة ذات اصل ايطالي تطلق على مجموعة بشرية قذرة، لا امل في اصلاحها.

بالتأكيد لم يكن المهاجرون السوريون وحدهم من يقوم بعملية البيع المتجول، فقد كان الزنوج ايضا يقومون بتلك العملية لكن أسلوب الزنوج كان اقل سوءا فلم يكن باستطاعة الزنجي (بحكم وضعه الاجتماعي وما يتعرض له من عنصرية) ان يطرق الأبواب أو التوسل لشراء بضاعته لانه ربما سيلاقي ردة فعل عنيفة لذا كان يعرض بضاعته للناس الواقفة امام الدور ولا يطرق سوى أبواب اقرانه من الزنوج، ويبدو أن المهاجرين السوريون قد زاحموا حتى الزنوج في البيع في المجتمعات الزنجية لذا وردت حالات اعتداءات عنيفة من الزنوج على المهاجرين السوريون وبعضها وصل لحد القتل (الشويري، ١٨٩٥، ص ٢٤). وليس من الغريب ان نعلم ان المجتمع الأمريكي بدأ يعد العرب المهاجرين من الزنوج وشاع في مجتمعات الولايات الأمريكية انه ولاء زنوج أو ربما أصلهم زنجي.

كان اغلب الباعة المتجولين ينهون أعمالهم قبل المغيب ولأنهم كانوا يبيتون في غرف مكتظة، كانوا يفضلون قضاء الوقت في الشوارع ، وان التسكع في الشوارع كان يؤدي الى حدوث خلافات بينهم تصل الى درجة المعارك بالأيدي ، وقد تكررت بشكل كبير جدا حالات العراك بالأيدي وتكرر تدخل الشرطة لفض النزاعات بين السوريون أنفسهم وكان تكرار العراك قد سبب إزعاج للعامة وللشرطة ايضا لذلك صدرت أوامر من دائرة شرطة واشنطن الى مكاتب الهجرة في الولايات المتحدة للقيام بعملية التضييق على المهاجرين السوريون وكان ذلك في كانون الثاني من عام ١٨٩٣ (كوكب أمريكا، ٢٠ كانون الثاني ١٨٩٣)، ويعد هذا الأمر من قبل شرطة واشنطن أول قرار موجه للحد من هجرة السوريون.

في الواقع بدأ المجتمع الأمريكي بمعاملة المهاجرين السوريون معاملة مختلفة تماما عن بقية الشعوب، وذلك بسب نظرته (الدونية) الى السوريون بعدهم متسولين وقذرين ويعملون بالأعمال التي لا تليق بالإنسان فضلا عن تزايد حالات عراك السوريون مع بعضهم البعض ومع أبناء الشعوب الأخرى ، وأصبح الامريكي يميل الى تصديق اي مواطن من اي امة باستثناء السوريون لأنهم كثيري المشاكل والشغب وهذا تسبب في ضياع حقوقهم أولا ومن ثم في تضييق الخناق على هجرة أقرانهم الى الولايات المتحدة. ففي حادثة متصلة بهذا الشان ذكرت جريدة كوكب أمريكا ، ان شابا سوريا كان يسير في احد شوارع واشنطن العاصمة وكان الوقت ليلا فتفاجئاً بشاب ايرلنديَ مخمورٍ فتقدم عليه وضربه ورد السوري على ما فعله الايرلندي ثم تكاثر عليه الايرلنديون وطرحوه أرضا فقدم شابُ سوريٌ آخر لنجدته وقد ضربه الايرلنديين ايضا ثم جاءت فتاه سورية حاولت مساعدتهم فهجمت عليها

فتاة ايرلندية وضربتها بقنينة زجاجية على رأسها فقدم مجموعة من السوريون لمساعدة رفاقهم ثم وصل رجال البوليس الذين تركوا الايرلنديين يهربون رغم تقديم السوريون شكوى، ثم قدم السوريون شكوى على احد رجال الشرطة باعتباره كان متعمدا لترك الايرلنديين المعتدين. وهنا ناشدت الصحيفة رجال البوليس الأمريكيين وقادة دوائر الشرطة الى ان يعاملوا السوريون كما يعاملوا المهاجرين الآخرين (كوكب امريكا، ١٥ نيسان ١٨٩٢) . لكن هذه المناشدات أصبحت بلا جدوى فقد طغت السمعة السيئة على المهاجرين السوريون وباتوا يعاملون بعدهم ادنى شعوب الولايات المتحدة الأمريكية مكانا ومنزلة.

ورغم كل الحوادث التي وقعت بالمهاجرين السوريون ورغم تنبيه رجال الدين الموارنة والصحف العربية الصادرة في الولايات المتحدة وحثهم المهاجرين السوريون على البحث عن أعمال أخرى ترفع من شأنهم بين المواطنين الأمريكيين والاعتناء بملابسهم وأماكن سكناهم والابتعاد عن المشكلات وتجنب التسكع بالشوارع، إلا أن كل ذلك لم يلق اي اهتمام من جانب اغلب المهاجرين ولاسيما المهاجرين الجدد الذين كانوا ينظمون الى طوابير الباعة المتجولين ويسعون الى الربح السريع بأي شكل من الأشكال. ويبدو ان رجال الشرطة لاسيما شرطة العاصمة واشنطن قد ضاقوا ذرعا بالمهاجرين السوريون ومن تسكعهم المستمر في الشوارع فاضطر رجال الشرطة للشكوى منهم وتهديدهم بالترحيل وذلك من خلال جريدة كوكب امريكا التي كانت تعد من ابرز صحف المهاجرين. وقد ذكرت الجريدة تلك الشكوى وفيما يأتي نصها: "**اتصل بنا مؤخرا بعض من رجال البوليس في هذه المدينة وقالوا ان محافظي شارع واشنطن منهم غير مسرورين من تجمع بعض السوريون في اكثر الاحيان على رصيف الشارع لان ذلك يعيق المارة وهو ضد النظام ومكروه لدى العموم فننبه ابناء الوطن لذلك ونعلمهم انه منح للبوليس حسب نظام الحكومة القبض على من يضيق سبيل المارة ويغرمه بمبلغ من الدراهم فضلا عن ذلك فان رصيف الشارع ليس محل اجتماع يتجاذب به الأخلاء أطراف الأحاديث فنأمل ممن هم موضوع هذا الكلام ان يتركوا هذه العادة التي تحط قدرهم وإذا ألزمت الحال البعض بالوقوف على الرصيف فليقفوا بحيث يبقون سبيلا للمارة**" (١٠حزيران ١٨٩٢) .

ورب سائل يسأل لماذا لم يكن للمهاجرين السوريون وبائعيهم المتجولين حماية؟ ألم تكن هناك جمعيات سورية وبالعشرات تمثل المهاجرين؟ في الواقع كانت هناك العشرات وربما المئات من المنظمات والجمعيات السورية في الولايات المتحدة

فالمتصفح للصحف العربية الكثيرة التي كانت منتشرة في الولايات المتحدة الأمريكية (صحافة المهجر) لا ينفك ان يجد في كل عدد مقالة عن منظمة دينية تجتمع بأبنائها أو جمعية ادبية تصدر بيانا ، بل أنه سيجد ما بين عدد وأخر إعلان عن تأسيس منظمة أو جمعية جديدة. وكل تلك المنظمات كانت تدعي انها تمثل المهاجرين السوريون وتسعى لإصلاح حالهم لكن في الحقيقة أن حال تلك المنظمات كحال القوات المرتزقة فهي لم تكن (في اغلبها) إلا منظمات وجدت ليعيش مؤسسيها على ما يأتيه من المنح والتبرعات سواء من تجار السوريون المهاجرين أو من غيرهم من الامريكيين ، ناهيك عن المشكلات العديدة فيما بين تلك المنظمات وكيل الاتهامات أحداهما للأخرى. وسرت تلك العدوى الى الصحف نفسها فكانت المعارك على أشدها بين صحيفة الهدى وصحيفة كوكب أمريكا. ومما يجدر ذكره هنا لقد كان اغلب المهاجرين السوريون لا يسجلون أسماءهم في السفارة العثمانية في واشنطن (بعدهم مواطنين عثمانيين للذين لم يحصلوا على الجنسية الامريكية ولاسيما الأعداد الغفيرة من الباعة المتجولين) ولا يعرف عنهم السفير العثماني اي شيء، وفي مقابلة أجراها نجيب عبده طنوس (مؤلف كتاب السفر المفيد في العالم الجديد) مع السفير العثماني في واشنطن شكيب بك في عام ١٩٠٩ وسأله عن وضع السوريون في الولايات المتحدة قال السفير العثماني:" **ان مهاجرينا لسوء الحظ قلما تقدموا في بلاد غربتهم وذلك ينسب لخللهم في المبادئ العصرية وعدم ثباتهم في الأشغال القانونية وبالأخص تعصباتهم المذهبية وأحناء رؤوسهم للكهنة وطاعتهم طاعة عمياء للمتوشحين بالجبة السوداء . وانه أي السفير معتمد مئة الف سوري عثماني في الولايات المتحدة وهو لا يعرف منهم بالكاد إلا عشرة. وطالما تحدث تعديات على الرعايا العثمانيين في هذه البلاد تسفر أحيانا عن شج رؤوس البعض وهو يتوق لحمايتهم وهم مع كل ذلك لا يعلمونه ولا بقضية من قضاياهم بل يتجنبونه كأنه عدوا لهم وهم بذلك مخطئون**" (طنوس، ١٩٠٩، ص ٥٣٣-٥٣٤). وبذلك أضاع اغلب المهاجرين السوريون حقوقهم من خلال استمرارهم على العمل بالبيع المتجول فضلا عن خوفهم من مراجعة السفير العثماني لأسباب ربما تتعلق بالدين لان المهاجرين كانوا مسيحيين والسفير العثماني مسلم .

لم يقتصر الامر على مقالات الصحف أو على دوائر الهجرة أو رجال الشرطة، بل تطور ليشمل تجار (الجملة) الامريكيين الذين بدؤوا يمتعضون من سلوك الباعة المتجولين السوريون، فقد اجتمع عدد كبير من تجار نيو جرسي

وعزموا على جعل اجازة البيع خمسين دولار*على الباعة السوريون والهنود وعدوا التساهل مع هؤلاء الباعة اجحافا بحق التجار لانهم يأتون ويبيعون بضائعهم على ابواب مخازنهم وزادوا على ذلك ان الباعة المذكورين ليس فقط يضرون بالتجار بل ان بعضهم يدخلون بيوت الاغنياء بهيئات غير مرضية ويقلقون راحتهم بكثرة الكلام وزيادة الاستعطاف وقالوا ايضا ان لو قبلت الحكومة ذلك كقانون عام لكان خير واسطة لتقليل اصحاف هذه الحرفة (كوكب امريكا، الأول من تموز ١٨٩٢).

أدت السمعة السيئة للباعة المتجولين الى الإضرار بالمصالح العامة للمهاجرين السوريون الآخرين لاسيما التجار السوريون الذين يتعاملون مع الباعة المتجولين اي الذين يزودهم بالبضائع، فقد كان عام ١٩٠٩ عاما سيء الطالع على الفريق الأكبر من تجار السوريون في نيويورك، فقد قام التجار الأمريكيون الكبار بلعبة دنيئة تجاه التجار السوريون اذ أعلنوا إفلاسهم وابتلعوا الأموال التي كانت لديهم من قبل التجار السوريون معتمدين على القوانين الأمريكية القاضية بالتساهل الكلي مع المديون ولاسيما المفلس. وقد أشار المهاجر السوري الطبيب والكاتب نجيب عبده طنوس، والذي كان وقتذاك في نيويورك الى ان السبب لا يعود وحده الى التجار الأمريكيين وانما الى من سماهم :" **نفر من الذين تلقى عليهم التبعة وهو المسؤولون عن ضرر الجالية السورية تجاريا هؤلاء المخاليق قد توغلوا في النفاق ورداءة المعاملة مع هضم الحقوق لدرجة موت الضمير والصغارة في عيون الامريكان الذين اصبحوا يفضلون معاملة النوري (الغجري) على معاملة السوريون**"(طنوس، ١٩٠٩، ص ٥٧١) وهؤلاء الذين اشار اليهم الطبيب نجيب عبده طنوس هم الباعة المتجولون .

بدأ المجتمع الامريكي يضيق ذرعا بالباعة المتجولين لانهم قد ملوا من طرق الأبواب وسئموا أكاذيب الباعة المتجولين ، لذلك قام اغلب أصحاب البيوت بوضع لافتات كتب عليها " **لا يسمح للمتجول بطرق هذا الباب أو دخول هذه البناية**"(حلوة، بدون تاريخ، ص ٧٩) ولك ان تتصور مدى ما تحمله هذه اللافتات من معانٍ عدة أولها ضجر الناس من المهاجرين السوريون وأخرها تأثيرها الكبير على نفسية المهاجر المقيم والذي لا يعمل بالبيع المتجول كالمزارع والعامل أو التاجر.

قام الصحفي الأمريكي فردريك بالمر Frederick Palmer بنشر تحقيق طويل عن السوريون والباعة المتجولين، والغريب ان هذا التحقيق نشر في العديد من الصحف الأمريكية، فقد نشرته صحيفة The Herald (January 9,)

* في الأصل (ريال) فقد كان المهاجرون السوريون يسمون الدولار ريال

1898,P.10 في ولاية لوس انجلس في التاسع من كانون الثاني ١٨٩٨، ونشرته في التاريخ نفسهِ صحيفة The Morning News January 09, 1898, P.

(11) التي تصدر في ولاية جورجيا، وغيرها من الصحف الأخرى ، ولأهمية التحقيق سنحأول بيان اهم ما جاء فيه. جاء في مقدمته:" **قبل خمسة عشر عاماً ، كان وجود السوريون حتى في نيويورك امرا ثانويا. اليوم هناك ٢٥٠,٠٠٠ منهم في أمريكا. وازدادت هجرتهم بشكل مرعب خلال الستة اشهر الأخيرة**" (The Morning News. , January 09, 1898,P.11)، أراد فردريك بالمر من مقدمته هذه إلى تنبيه المجتمع الامريكي لهجرة السوريون المتزايدة وضرورة وضع قيود عليها بعدها هجرة مرعبة على حد وصفه ، ثم بدأ بالحديث عن صفات المهاجرين السوريون قائلا :" **صفة الكذب الملازمة لشخصيتهم ليست أمرا مفاجئا**" وبهذه الجملة حأول فردريك بالمر التأكيد على موضوع الكذب باعتباره اكثر صفة مكروهة عند المجتمع الامريكي، فيما اخذ بالحديث عن تجارة السوريون في الولايات المتحدة الأمريكية معلقا عليها :" **على الرغم من ان الأرمن واليونانيين هم أفضل تجار الشرق، إلا ان السوري بصفته بائعًا متجولًا هنا ، فإنه يفوق كل فئات الشرقيين الأخرى، الذين يلجئون إلى بعض أشكال التجارة بدلاً من أي شكل من أشكال الإنتاج**" (The Morning News. , January 09, 1898,P.11) وهنا حصر عمل جميع المهاجرين السوريون بانهم بائعين متجولين منافيا بذلك الحقائق لإيهام المجتمع الأمريكي بان كل السوريون هم باعة متجولون * .

تابع فردريك بالمر وضع المهاجرين السوريون منذ وصولهم للولايات المتحدة الأمريكية وكتب قائلا:" **في ثلاثة أسابيع بعد وصولهم إلى البلاد يشترون بضاعة ثم تكون لديهم حزمة على ظهورهم ويبدؤون بالانتقال من مدينة الى اخرى. حتى يجمع احدهم ألف دولار ثم يعود الى دياره**" وكلامه هذا يهدف الى القول بان المهاجرين يأخذون العملة الأمريكية ولا ينفقوها إلا في بلادهم. مشيرا في الوقت نفسه بان المهاجرين السابقين كانوا يقيمون في الولايات المتحدة ولا يعودون الى سوريا:" **قبل عشرين عامًا ، كانت نسبة المهاجرين العائدين صغيرة جدًا بحيث لا يمكن ملاحظتها**" ثم اخذ يقارن المهاجرين السوريون بالمهاجرين الأوربيين لاسيما من الدول الاسكندنافية قائلا:" . بعد ذلك ، :"**شكل الإسكندنافيون والألمان والبريطانيون والأيرلنديون الجزء الأكبر من المهاجرين ، ودائمًا ما أتوا إلى هنا**

* كانت نسبة الباعة المتجولين السوريين اقل من نصف المهاجرين ففي نيويورك وهي اكبر ولاية تجمع فيها المهاجرين السوريين لم تكن نسبة الباعة المتجولين منهم تتجأوز الـ ٣٤بالمئة وباقي المهاجرين كانوا يعملون بالمصانع والمتاجر، (Shibley,2014. P.65.)

لبناء المنازل. كان مناخنا يشبه إلى حد كبير مناخ بلدهم الأصلي وكان من السهل عليهم جعل هذا البلد ملكًا لهم" . اما المقارنة التي دأب عليها الصحافة الامريكية هي مقارنة السوريون بالإيطاليين وبهذا الصدد كتب بالمر قائلا :" **يقول المفوض فيتشي (مسؤول مكتب الهجرة) ان الإيطاليين كانوا أكثر المهاجرين أمية لكنهم افضل بكثير من السوريون اتباع السلطان. يمكن للسوريين المرقطين (Dalmatian .) { والدلماتين هو الكلب الأبيض المرقط بالأسود}. تعلم القراء خلال عام لأغراض القانون. هؤلاء يصبحون بائعين متجولين ينتشرون في الجنوب والغرب كأنهم آفة أو طاعون ولا يفهمون شيئا من المؤسسات الأمريكية انهم لا يفلحون الارض بل انهم ليسوا منتجين بأي شكل من الاشكال. الايطاليون على العكس منهم على الرغم من كونهم أميين لكنهم يزرعون الأرض ويعملون بشكل شاق في مزارع العنب والكروم. لكن السوري تعلم اللغة بسرعة أكثر من الفرنسيين والألمان. من خلال تنقله بين الناس فانه يتعلم بسرعة ان يقول:" سيدتي الكريمة انه يوم جيد. انظري الى بضاعتي الجميلة**"(January 9, , The Herald 1898) ، وفي هذا النص جملة من الأمور التي أراد الصحفي إيصالها للمجتمع الأمريكي أولها ان المهاجرين السوريون هم ليسوا من الجنس الأبيض* لذلك شبههم بـ (الدلماتين) وهم بذلك يختلفون عن الجنس الأوربي الأبيض، والأمر الثاني هو مقارنتهم بالايطاليين الذين غالبا ما كانوا يوصفون بالبلادة وقلة الاستيعاب والميل الى حب اللهو والموسيقى، حتى ان احدهم ربما يموت في الولايات المتحدة وهو لا يزال لا يعرف اللغة الانكليزية، لكن مع ذلك فضل الايطاليين على السوريون على الرغم من اعترافه بان السوري يتعلم اللغة الانكليزية بشكل سريع جدا بل يتعلم ايضا الكتابة وليس الكلام فقط بما يضمن بقائه في البلاد، والنقطة الأساسية هو وصف المهاجرين السوريون بأنهم ينتشرون في الولايات المتحدة كأنهم آفة أو طاعون ؟! صحيح ان المهاجرين كانوا ينتشرون في الولايات والمدن لبيع بضائعهم ولكن هل كانوا يستحقون هذا الوصف ؟ في الحقيقية استغل بالمر موضوع الباعة المتجولين بشكل مبالغ فيه الى درجة كبيرة

* في الحقيقية كان الأمريكيين ينظرون للمهاجرين السوريين على انهم من الجنس الابيض وظلوا يعاملونهم على هذا الاساس، لكن بعد مدة طويلة ظهرت دعوات من قبل امريكيين الى اعادة النظر في جنس السوريين وبانهم ليسوا من البيض، وليسوا من الجنس الاصفر، وعدهم البعض من الجنس المنغولي (اتراك) وفي النهاية تم تصنيفهم بانهم من الجنس القوقازي ، للتفاصيل انظر:
(Reports of The Immigration Commission, 1911, P.139.)

لإخافة المجتمع الأمريكي منهم بعدهم عنصراً غير ابيض وبأنهم لا يحبون العمل بل يهدفون للربح السريع وامتصاص أموال الناس وبان أعدادهم كانت كبيرة جدا. كل هذا ليعطي انطباعاً بان المجتمع الأمريكي يتعرض الى تغيير في تركيبته الاجتماعية فعليه الانتباه .

اعتقد بالمر بان مجيء السوريون الى الولايات المتحدة الأمريكية يتم بشكل مخطط وان التجار السوريون هم من يقومون بهذا المخطط :" **نحن لدينا أسباب تدفعنا للاعتقاد بان ممثلي التجار الكبار السوريون يقومون بدفع نفقات المهاجرين ويأخذونها منهم على شكل أقساط لقدومهم للولايات المتحدة وعودتهم مرة أخرى. وان هذا الترتيب يحصل قبل شهر من قدوم المهاجر. وبالتالي المزيد والمزيد من الباعة المتجولين**". وادعى بالمر بان الكثير من الناس اشتكوا من كثرة أعداد الباعة المتجولين قائلا:"**ونحن لا نفعل شيئاً حيال الاحتجاجات الكثيرة التي تصلنا من الغرب والجنوب التي تقول إن البلاد غارقة مع هؤلاء الباعة المتجولين ووصفوها بأنها مصدر إزعاج**" ونقل بالمر محادثاته التي قام بها مع بعض التجار السوريون قائلا:" **لكن التجار السوريون ينكرون بشدة هذه الخطط رغم اعترافهم لمكتب الهجرة بان السوريون غير منتجين. لكنهم يقولون عن الباعة المتجولين بأنهم تجار ، لأنهم لا يجدون شيئًا آخر ليفعلوه. لم يتعلموا أي مهن وبطبيعة الحال لا يمكنهم القيام بالأعمال الماهرة.: التجارة هي السبيل الوحيد المفتوح أمامهم حتى يصبحون مواطنين أمريكيين دائمًا.**" وأكمل التجار السوريون قائلين :" **إنهم لا يعودون إلى ديارهم ، مثل الإيطاليين ، بعد أن جمعوا القليل من المال ، لأنهم يحبون أمريكا وينظرون إلى الحياة في عهد سلطان تركيا بأنها ليست مغرية لهم.**" واعترض التجار السوريون على وجود مخطط بهذا الشأن قائلين :" **ان نجاحهم كتجار لا جدال فيه. لا جدال في أن نجاحهم كمتدأولين. في وقت قصير نسبيًا ، يكون بائع متجول مساعدًا في متجره الصغير. يرسلون أموالًا لمساعدة أصدقائهم على القدوم إلى أمريكا حتى يتمتع أصدقاؤهم بالازدهار أيضًا**"(The Herald , January 9, 1898) . في النهاية يمكن القول ان فردريك بالمر استطاع إثبات وجهة نظره القائلة بان المهاجرون السوريون هم مهاجرون غير منتجين وانهم حتى لو كان بإمكانهم تعلم اللغة الانكليزية وجني المال الأمريكي لكنهم غير منتجين وبالتالي غير مفيدين للمجتمع الأمريكي وان المهاجرين الآخرين لاسيما الايطاليين حتى وان كانوا بليدين ولا يتعلمون اللغة لكنهم منتجين ويقدمون شيئا للمجتمع والدولة وهنا يكمن

الاختلاف في نوعية المهاجرين. هذا ما أراد قوله فردريك بالمر وغيره من الأمريكيين الذين اعتقدوا ان السوريون لم يكونوا اكثر من باعة متجولين هدفهم جمع المال بأي وسيلة حتى لو كانت تلك الوسيلة هي التسول من الناس بحجة بيع الحلي والمطرزات.

شهدت الأعوام التالية قيام دائرة الهجرة الأمريكية بمنع دخول عدد كبير من السوريون للولايات المتحدة (بلغ عدد هولاء ٧٣٢ من عام ٥١٩٠ حتى عام ١٩٠٨)(حلوة،بدون تاريخ، ص ٤٠) ، وقد وضع بند جديد ببنود المنع فضلا عن البنود السابقة التي كانت تمنع دخول المرضى بأمراض خبيثة والمجانيين والمجرمين، والبند الجديد كان منع المتسولين والذين ربما يكونوا عالة على الأمة الأمريكية ، وهذا البند الجديد لم يكن موجود بالسابق لاسيما (الذين ربما يكونون عالة على الأمة الأمريكية) فما هو المقصود بهذا البند وكيف يتم معرفة الشخص بأنه سيكون عالة على الأمة؟ عزا الكاتب السوري الامريكي جميل بطرس سبب المنع والترحيل فيما بعد الى السوريون المهاجرين أنفسهم بقوله :" **عدم تروي المهاجرين وسوء تدابيرهم اكثر مما هو عن عوزهم وفاقتهم ... فليس كل الواقعين عالة على الأمة الامريكية حقيقة بحاجة كلية الى المساعدة بل ان داء التسول قد غدا متفشيا في البعض من السوريون الجهلة... فهم يبذلون ماء وجوههم وعزة نفوسهم لنيل التطبيب وما شاكله بلا دفع شي من البدل على حين ان قمصانهم تكون ملاى بالأوراق المالية أو صناديقهم محشوة من صررها...**" (حلوة، بدون تاريخ، ص ٤٠)

وأنشأت الإدارة الأمريكية دائرة جديدة من دائرة الهجرة، مهمتها متابعة المهاجرين الداخلين للبلاد وكتابة التقارير عنهم فإذا وجدوا فيهم خللاً ما أصدروا أوامرهم بترحيل المهاجرين، لذلك طالب جميل بطرس المهاجرين السوريون الى الانتباه لهذا الأمر والاعتناء بنظافتهم ونظافته ملابسهم وعدم التوسل أو الأنحاء لأحد حتى لا يظن موظف الهجرة أو المتابعين بان هؤلاء متسولون. (حلوة، بدون تاريخ، ص ٤٠)

لابد من القول ان الصحف السورية في المهجر قد عملت جهدها لإرشاد المهاجرين وتوجيههم نحو العمل بالأمور اللائقة كالزراعة والصناعة والتعدين وكلك سعى المثقفون والأدباء، حتى ان بعض السوريون ألفوا كتبا كاملة لتعليم المهاجرين ومحاولة دفعهم للابتعاد عن البيع المتجول وتكفل أصحاب الأموال من التجار الأغنياء بطباعة هذه الكتب وإرسالها الى لبنان وسوريا لتدارك الخطأ قبل وقوعهم ،

ومن أمثلة ذلك كتاب جميل بطرس **(المهاجرين السوريون)** الذي بين فيه طرق المهاجرة للولايات المتحدة وانواع العمل وفوائد العمل بالمزارع والمصانع للمهاجرين وأهمية الاعتناء بالملبس والنظافة...الخ لكنه دعا في النهاية الى ضرورة إنشاء مكاتب من قبل المهاجرين الأغنياء القدامى لتشغيل المهاجرين الجدد، وقال ما نصه:" **وليس الذنب كل الذنب على المهاجرين الحديثين في عدم اتباع شيء الا الكشة وما أشبهها بل على الهيئة السورية الراسخة القدم في هذه الجمهورية لأنها يجب ان تكون أدرى بتدريب الحديثين ولم نرى حتى الآن شركة من السوريون أنشأت مكتبا رسميا لتدبير الأشغال لمواطنيهم وتفريقهم في بيوت الصناعة والتعدين والزراعة بل كل ما يلقى المهاجر من النصائح هو اما التجوال. أو موات الحال** "(حلوة، بدون تاريخ، ص ٤٠).

كان للباعة المتجولين حضورٌ في قانون الهجرة الصادر سنة ١٩١٧ ، إذ حشد الكونغرس الغالبية العظمى من الأصوات لتجاوز الفيتو الرئاسي، ممررًا مجموعة جديدة من قيود الهجرة التي شملت اختبار معرفة القراءة والكتابة ، رفع الضريبة الرئيسية عند الدخول، وعززت سياسات الترحيل في البلاد ، واستبعدت مدمني الكحول، والـ (Vagrant) (Daniels , 1997, PP. 81-82) وكلمة (فيكرنت) تعطي معانيَ عدة في تلك المدة، من ضمنها متشرد وجوال وطواف، ولها معنى اخر متعلق بموضوعنا وهو (بائع متجول من غير رخصة) (البعلبكي، ٢٠٠٩، ص ١٢٩٩) وبهذا يكون قانون عام ١٩١٧ قد استهدف الباعة المتجولين بشكل مباشر، كما ان القانون فرض رسوماً كبيرة على الداخلين الجدد وهذا ما لم يكن يملك السوريون فضلا عن معرفة القراءة والكتابة، والاهم من هذا سمح القانون بترحيل من هم بالولايات المتحدة أصلا ، أي الذين دخلوا قبل عام ١٩١٧ وممن شملهم القانون لاسيما المتشردين أو الباعة المتجولين، لأنه لا يمكن معرفة الباعة المتجولين عند قدومهم للولايات المتحدة إلا بعد وصولهم وعملهم بهذا الشكل. ومع ذلك لم يمنع ها القانون السوريون من الهجرة للولايات المتحدة فقد استمرت الهجرة الى صدور قانون الهجرة الجديد سنة ١٩٢١ الذي حدد الهجرة الى نسبة المهاجرين الموجودين في الولايات المتحدة بان تكون نسبة القادمين الجدد ثلاثة بالمئة من نسبة الموجودين، وجاء قانون الهجرة لسنة ١٩٢٤ ليحد بشكل كبير من هجرة السوريون حدد النسبة بـ ٢ فقط ، وبالتالي لن يكون بمقدور السوريون سوى استقبال ١٠٠ مهاجر سنويا طبقا لعددهم في الولايات المتحدة (Peterson, 2004, P.152.)

الخاتمة

اثر الباعة المتجولون على سمعة وصورة المهاجرين السوريون الى الولايات المتحدة الأمريكية بشكل كبير جدا ، وذلك من خلال ما يأتي :

١) اثر الباعة المتجولون على سمعة المهاجرين السوريون بشكل كبير جدا في أوساط المجتمع الامريكي من خلال كثرة أعدادهم التي أعطت انطباعاً لدى المجتمع الامريكي ان كل الباعة المتجولين هم من السوريون. ومن خلال تعمدهم بشكل مباشر الاستجداء من المواطنين الأمريكيين ، على الرغم من كون المهاجرين السوريون قد عدوا أمر الإلحاح على الناس بقبول ما يبيعونه مسالة ذكاء وفطنة وخفة بالرزق أو تجارة وليست تسولاً كما وصفها اغلب الكتاب والمؤرخين الأمريكيين . لكن الإلحاح على الناس بالشراء لا يمكن الا ان نعده نوعا من أنواع التسول.

٢) لم يكن الباعة المتجولون من المهاجرين السوريون يلتزمون بقواعد معينة ، وكانوا يطوفون المدن والولايات ليطرقوا الأبواب وغالبا ما كانوا يستهدفون ربات المنازل لبيع ما يحملونه من بضائع صممت خصيصا للنساء من حلى ومبهرجات ومطرزات وجزادين وغيرها من الأشياء التي تقتنيها النساء . وهذا ما جعل المواطنين الأمريكيين (الرجال بصورة خاصة) يضيقون ذرعا بالباعة المتجولين لأنهم أصبحوا يخشون على نسائهم من انهم ربما سيتعرضون للسرقة أو ما شابه ذلك. وقد ساهمت القصص والحكايات التي نسجت من وحي الخيال والتي لم تكن حقيقية أبدا(لم نجد من خلال بحثنا اي حالة اعتداء قام بها اي بائع متجول سوري ضد امرأة أو رجل) في إثارة مخاوف المواطنين الأمريكيين من الباعة المتجولين السوريون.

٣) ان المهاجرين السوريون كانوا من أصول عربية ولم يكونوا من أصول أوربية ، على الرغم من كونهم مسيحيي الديانة إلا أن العنصرية القومية غلبت على الكتاب والصحفيين الأمريكيين ، حتى انهم وصفوا مسيحيي سوريا بان ديانتهم مختلقة وشككوا بوجود المذهب الماروني كأحد المذاهب المسيحية.

٤) أثارت الأعداد الكبيرة من الباعة المتجولين امتعاض المجتمع الأمريكي ، لأنهم كانوا يأتون على شكل دفعات بشرية كبيرة ينتشرون في الشوارع والمدن وهم يحملون صناديقهم على أكتافهم ، ولا تغادر مجموعة إلا بعد وصول مجموعة أخرى جديدة مما جعل المجتمع الأمريكي يتصور ان كل المهاجرين السوريون يعملون كباعة متجولين.

٥) كان الباعة المتجولون من السوريون لا يهتمون بملابسهم من حيث النوعية والنظافة، مما أعطى انطباعاً سيئاً بشكل كبير عن المهاجرين السوريون فقد تصور الأمريكيون كل المهاجرين السوريون قذرين ولا يهتمون بنظافتهم واحتمال كونهم يحملون أمراضاً معدية.

ملحق رقم (١)

خارطة تبين انتشار الباعة المتجولين في الولايات المتحدة الأمريكية

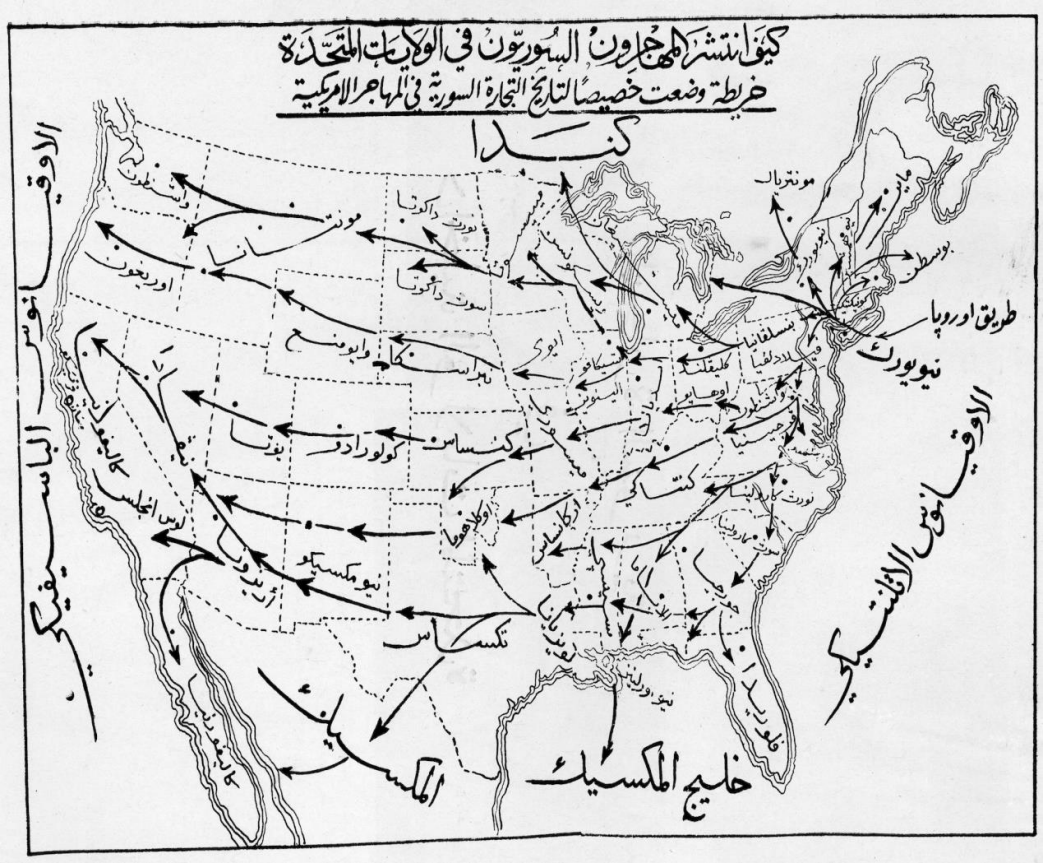

المصدر:

Map of peddling routes from New York City. *Mukarzil*, Tarikh al-Tijara al-Suriyya, 144. James Ansara Papers, IHRC208, Immigration History Research Center Archives, University of Minnesot

ملحق رقم (٢) رسم نشرته جريدة (ذا هيرالد) الامريكية يمثل بائع متجول سوري وهو يعرض بضاعته لأحدى السيدات الأمريكيات

المصدر:

The Herald, Los Angeles, Sunday Morning, January 9, 1898, Twenty – Fifth Year, NO. 101.

قائمة المصادر :

أولا: العربية والمترجمة

١) البعلبكي ، منير، ٢٠٠٩ . قاموس المورد، بيروت.

٢) حلوة،جميل بطرس، بدون تاريخ . المهاجر السوري وما يجب ان يعرفه ويعمل به،(إفادات وإرشادات هامة للسوري المهاجر والذي قد يهاجر) ، نيويورك.

٣) الخوري،باسيليوس خربأوي، ١٩٣١ . تاريخ المهاجرة السورية وما يتعلق بها ، نيويورك.

٤) الشويري، ميخائيل ، ١٨٩٥ . الغريب في الغرب، نيويورك.

٥) طنوس، نجيب عبده، ١٩٠٩ . السفر المفيد في العالم الجديد ، نيويورك .

٦) غريغوري، أورفلي،٢٠٠٦ . تاريخ الأمريكيين ذوي أصول عربية، ترجمة سعيد الحسنية، الدار العربية للعلوم.

٧) كاروس، ايرنست ماك ، ١٩٩٨ . تطور الهوية الأمريكية العربية،ترجمة ، أمل الشرقي، مراجعة فؤاد شعبان، الاردن.

٨) مصطفى ، وليد، ١٩٩٠ . قصة مدينة بيت لحم، موسوعة المدن الفلسطينية ، الجزء التاسع، دمشق .

٩) مكرزل،سلوم، ١٩٢١ . تاريخ التجارة السورية في المهاجر الأمريكية، المطبعة السورية الأمريكية ، نيويورك .

المجلات العربية

١) حتي ، فيليب . (مارس ١٩٢٢) . "السورين في الولايات المتحدة الامريكية " . مجلة المقتطف. ٦٠، ٣: ١٢٠-١٢٦.

٢) ـــــ . (فبراير ١٩٢٢) . "السورين في الولايات المتحدة الامريكية " . مجلة المقتطف. ٦٠، ٢: ١٢١- ١٣٠.

٣) المجلة التجارية السورية الامريكية . " تاريخ المتاجرة السورية في المهاجر الامريكية" (كانون الأول ١٩١٨) نيويورك، ١، ٢٦-٢٧.

٤) البعيني، نجيب ، ٢٤ ايلول ٢٠١٨ . "انطونيوس البشعلاني حكاية أول مغترب لبناني الى امريكا"، جريدة الواء الاليكترونية، http://aliwaa.com.lb/

الصحف باللغة العربية:

١) جريدة الهدى ،١٥حزيران ١٨٩٩، فيلادلفيا.

٢) ـــــ ، ٢٠ حزيران ١٨٩٩، فيلادلفيا .

٣) جريدة كوكب امريكا ، ٧ اذار ١٨٩٢، نيويورك.

٤) ـــــ، ٢٠ كانون الثاني ١٨٩٣، نيويورك.

٥) ـــــ، ١٥ نيسان ١٨٩٢، نيويورك.

٦) ـــــ، ١٠ حزيران ١٨٩٢، نيويورك.

٧) ـــــ ، ١ تموز ١٨٩٢، نيويورك

ثانيا : المصادر باللغة الانكليزية:

Documentary Books:

1) Reports of The Immigration Commission, Dictionary Of Races or Peoples, December 5, 1910, Presented to Dillingham to Congress Senate, Document. No. 662.. Referred to the Committee on Immigration, Washington 1911.
2) The National Archives. 1989. Washington, DC: National Archives and Records Administration,.

Books:

1) Alixa, Naff, 1922. Lebanese Immigration into the United States: 1880 to the Present , in The Lebanese in the World: A Century of Emigration) Oxford: The Center for Lebanese Studies.
2) Edward, Corsi , 1969. In the shadow of Liberty, Arno Press and New York Times.
3) Khater, Akram Fouad , 2001. Inventing Home Emigration , Gender, and the Middle Class in Lebanon, 1870-1920, Berkeley and Los Angeles, University of California Press.
4) Merrill ,D. Peterson, 2004. Starving Armenians: America and the Armenian Genocide, 1915-1930 and After (Charlottesville: University of Virginia Press.
5) Roger, Daniels. 1997.Not Like Us: Immigrants and Minorities in America, 1890-1924. Chicago.
6) Stacy D Fahrenthold, 2014. Making Nations, in the Mahjar; Syrian and Lebanese Long distance nationalisms in New York city, Sao Paulo, and Buenos Aires, 1913-1929, Northeastern University Boston.

Thesis:

1) Ansara , James : 1931. The Immigration and Settlement of the Syrians , Harvard college , Ph,D. Honored Thesis .
2) Shibley , Gregory J. May 2014. New York's Little Syria, 1880-1935 , A Thesis Submitted to the Faculty of The Dorothy F. Schmidt College of Arts and Letters in Partial Fulfillment of the Requirement of the Degree of Master of Art, Florida Atlantic University Boca Raton, Florida.

Research:

1) Toth , Anthony B. , July 1986. " The Syrian Community in New Castle and Its Unique Alawi Component1900-1940" ,The Western Pennsylvania Historical Magazine, 69 (3) .

Newspaper :

1) The Saint Paul globe, Minn, VOL. XXVI.—NO. 81, March 22,1903.
2) A Talk with Syrian Beggars," New York Times, July 7, 1882, 8.
3) City and Suburban News," ibid., April 14, 1884, 8.
4) Helping a Syrian to Reach Home," ibid., April 19, 1884, 2.
5) Arabs Not Wanted," January 17, 1888, 3.
6) Forty-Two Syrians Detained," New York Times, August 23, 1889.
7) "Syrians Allowed To Land," New York Times, September 1, 1889.
8) "Joyful Syrians," New York Times, September 6, 1889.
9) Sanctified Arab Tramps," New York Times, May 25, 1890, 17.
10) The Herald, Los Angeles, Sunday Morning, January 9, 1898, Twenty –Fifth Year ,NO. 101.
11) The Morning News. , January 09, 1898.
12) Masters of Mendicants," New York Times, February 21, 1888, 3

Hawkers and their influence on the image of Syrian immigrants to the United States of America

Assistant Professor, Doctor: Kefah Ahmed M.Najjar.
University of Baghdad /College of Arts/ History department
Akefah82@yahoo.com

Summary

Thousands of Syrians, especially Christians, immigrated to the United States of America and formed a small Arab community in the states they inhabited (especially in New York, as they established what was known historically as Little Syria). These immigrants have had a good reputation in the United States of America because they were not criminals and did not form gangs specialized in theft or murder, and the courts of the United States of America did not witness crimes committed by the Syrians, whether they were murder, theft or assault on women.

But the good reputation of the Syrian immigrants has become a great threat due to the fact that many of them worked as street vendors who spread in all the states, and they were characterized by their poor clothes and their sympathy for people, especially as they were knocking on the doors and pressing the homeowners to buy the needs they were carrying in their boxes, which constituted a reaction to the Americans and made them look to the immigrant The Syrian as a dirty beggar.

In this research, I try to focus on the work of the Syrians in trade, especially the singular trade, the reason for its spread in the states, how the Syrians worked as itinerant sellers, and what are the reasons that led them to continue this work for several years despite its significant impact on their reputation and diminished their respect and prestige among the other immigrants from other countries